

الفصل الحادى عشر الانتباه

إن من يعالج موضوع الاهتمام أو الشغف لابد وأن يعالج موضوع الانتباه بالضرورة ، فهذا الأمر لا يمكن تلافيه أو تحاشيه ؛ لأننا إذا قلنا ان موضوعا معيناً أو شيئاً ما هو مثير اهتمامنا وشغفنا فكأننا بذلك نقول انه يثير انتباهنا .

ولكن بالإضافة الى الانتباه الذى يثيره فينا موضوع يهنا أو تشغف به حبا — أو على وشك أن نهتم به أو نفهم به — الانتباه التلقائى ، أو العابر ، أو السلبي ، أو سبه ما شئت ، فهناك نوع من الانتباه المقصود الواعى المحكم التدبير . وهو ذلك الانتباه الطوعى أو الانتباه الذى يقتضى بذل الجهد الذى نوليه للأشياء التى لا نهتم بها الا قليلا ، أو الأشياء التى بعد ذاتها ليست لذينة ولا سارة .

ولقد ميزت كل كتب علم النفس بين الانتباه السلبي والانتباه الايجابى . وهذا التمييز أو هذه التفرقة تتناول الجوانب العميقة من الموضوع .

يبد أننا — من وجهة نظرنا العملية البحتة فى الحاضر — لا نجد ضرورة فى أن نلجأ الى التعقيد . والانتباه السلبي لمادة لذينة فطريا لا يحتاج الى مزيد من الايضاح فى هذه المناسبة .

كل ما نريد أن نذكركم به صراحة ومجاهرة هو أننا كلما اعتمدنا على الانتباه السلبي ، بأن نواصل الاحتفاظ بجمل مادة الدرس سائفة ولذينة

ومثيرة للشغف ، وكلما قللنا من لجوئنا الى الانتباه الذى يقتضى بذل الجهود ، مضى عملنا فى قاعة الدرس رخاء ، سارا ، بارا ، ممتعا ، هينا ، لينا .

على أننى سأقول بضع كلمات بشأن موضوع الانتباه المقصود ، أو الانتباه الطوعى . غالبا ما نسمع الحكمة القائلة بأن المبقرية ليست سوى قوة انتباه موصولة مسندة .

وهناك رأى شائع سائد قوامه أن العباقرة قد امتازوا بقواهم الارادية المدبرة فى هذا الصدد .

يبد أن قليلا من التأمل الباطنى يبين لنا أن الانتباه الطوعى لا يمكن أن يظل موصولا مسندا بصفة دائمة ، وانما يأتى على شكل قرعات أو دقائق .

وعندما ندرس موضوعا سخيلا ، ويجنح ذهننا الى الشرود ، فاننا نحاول أن نستعيد انتباهنا باللجوء الى نبضات واضحة من الجهود التى تعيد إحياء الموضوع لبرهة وجيزة ، عندئذ يضى الذهن لبضع ثوان معينة أو دقائق باهتمام تلقائى ، حتى تقبض عليه فكرة تعترض سبيل تياره الجارى وتحمله بعيدا مرة أخرى .

هنا يلزم تكرار عملية التذكر الطوعى أو الاستدعاء الطوعى مرة أخرى .

فالانتباه الطوعى — بالاختصار — هو عملية مؤقتة وحسب .

والعملية — مهما تكن — تستنفد نفسها فى أداء واحد . ومالم ينسك بزمائها من جديد بسبب أثر من اهتمام أو بقية من شغف أو فضل من التذاذ يكون قائما بذاته فى الموضوع ، فإن العقل يعجز عن متابعتها مطلقا . ان الانتباه الطوعى المسند للمبقرى الذى يظل عالقا بموضوعه ساعات متصلة — هو انتباه فى مجمله من النوع السلبي الساكن .

إن عقول العباقرة زاخرة بالارتباطات الوافرة الغزيرة المبكرة .
وموضوع التفكير — متى تفتح — فانه يجلب وينجب كل أنواع
والوان وصنوف الاهتمامات والنتائج الخلافة .
ويمضى الانتباه متنقلا من واحد منها الى الآخر على نحو في غاية
الافتتان والانتباه لا يجنح أبدا الى الشرود أو التشتت .

هذا هو شأن عقول العباقرة .

أما في العقول الدارجة العادية فان الموضوع لا يجلب أو ينجب ذلك
العدد الكبير من الترابطات أو الشركاء أو الرفقاء ، وانما يموت بسرعة .
واذا اضطر المرء الى مواصلة التفكير فيه فيتعين عليه أن يستعيد انتباهه ثانية
بنوع من الاغتصاب العنيف .

ولذلك نجد في هذا النوع من العقول أن القدرة على الانتباه الطوعى
تتأهيا لها فرص زاخرة للتنمية في الحياة اليومية .

هذه هي العقول التي تسكن في رجل الأعمال الذي تحتقرونه ، ورجل
الشئون العامة (الذي ينظر اليه مانحو الشهرة الأدبية نظرة تصغير وتحقير)
والذي تتركز قدرته في هذا النوع من الانتباه الارادى، وتنمو فضيلته في
هذا الاتجاه ، اذ يتعين عليه أن يصنف لاهتمامات كثير من الناس المملين
السخفاء، ويهتم بمن يفتقرون الى الاهتمام، ثم يقضى في أمر تفاصيل مملة
مضنية ، فتظل قدرته على هذا الانتباه الطوعى المقصود في حالة تدريب
مستمر .

أما المبقرى فهو على عكس هذا النمط من الناس تماما ؛ فهو رجل
قلما تجد عنده القدرة أو القوة على الانتباه أو الالتفات الى أمر تافه في
حد ذاته أو كريبه أو غير لذيذ بالقياس اليه .

فهو يخلف مواعييده ويترك المراسلات التي تأتيه بلا رد أو جواب ويهمل واجبات أسرته إهمالا لا يفتر ، ذلك لأنه عاجز عن سحب انتباهه من مساراته ومداراته حيث ترابط خيالاته واهتماماته التي تشغل بها عقيرته ذهنه .

فالانتباه الطوعي اذن هو بالضرورة مسألة حالية وفجائية ، وتستطيع أن تطالب به لتحقيق أغراضك في قاعة الدرس ، بأن تصدر اليه أوامرك بصوت جهورى ونغمة متجبرة تنطق بالتحميم . وقد يسهل عليك استحضاره بهذه الطريقة ، ولكن مالم يكن الموضوع الذى تستدعى انتباه طلابك له فيه قوة وليدة ذاته لكى تثير انتباههم ، وشغفهم ، فان تلبيتهم لأوامرك المتجبرة لا تلبث الا قليلا ثم سرعان ما تعود أذهانهم الى الشرود أو التشتت . ولهذا علاج واحد .. ولكنه علاج مجرد — مثله فى ذلك كمثل كل أنواع العلاج — ولكى تحصل على نتائج عملية من الافادة منه فعليك أن تمزجه بحذق وذكاء وبصيرة الأبوة والأمومة .

هذا العلاج قوامه أن الموضوع ينبغى أن يعرض على نحو يكشف جوانب جديدة فيه ، ويشير أسئلة جديدة بشأنه . وفى كلمة واحدة ينبغى أن يتنوع الموضوع — لأن الموضوع الذى لا يتنوع ولا يتغير يطرد الانتباه بعيداً عنه ولا مفر من أن يشرذم الذهن مبتعداً عنه .

وتستطيع أن تختبر هذه الظاهرة وتؤكد منها عن طريق أبسط أنواع الانتباه الحسى .

حاول أن تثبت انتباهك على نقطة فوق ورقة أو فوق الحائط ، وسرعان ما تجد أنه قد حدث لك أمر من اثنين :

إما أن يصبح مجال رؤيتك غائماً لدرجة أنك لا ترى شيئاً واضحاً

مطلقا ، أو أنك تتوقف رغم أنك عن النظر الى النقطة موضوع الانتباه ،
وتجد نفسك تنظر الى شيء آخر .

ولكن اذا سألت نفسك أسئلة متتابعة عن النقطة : ما حجمها ؟ —
ما بعدها ؟ — ما شكلها ؟ — ما لونها ؟ الخ الخ . أو بعبارة أخرى اذا
فكرت فيها بطرق مختلفة وقلبت وجوها بما يصاحب ذلك من ترابطات
متعددة فانك تستطيع أن تركز ذهنك فيها لمدة أطول نسبيا .

هذا هو ما يفعله المبصر الذى يلمع بين يديه موضوع ما ، ويرى
وينمو ويهر الأبصار ويجذب الأفتدة . وهذا عينا هو ما يجب على المعلم
أن يفعله حيال كل موضوع يعلمه اذا أراد أن يتحاشى مغبة اللجوء المستمر
الى الانتباه الطوعى القائم على القهر .

والاعتماد على مثل هذا النوع من الانتباه القهرى طريقة مضيعة للوقت
والجهد ؛ لأنها تسبب حدة المزاج وإثارة الأعصاب ، الى جانب أنها تأتى
بنتائج غير كاملة ومبتسرة .

إن المعلم الذى يستطيع أن ينجح فى الاحتفاظ بالاهتمام والشفق
التلقائى من جانب طلابه — فى حالة حيوية واتعاش — ينبغى أن يعتبر
معلما متفوقا المهارة عظيم القدرة .

يبد أن قاعات الدرس زاخرة دائما بأنواع من الملل ، وألوان من
المواد المملة التى لا تثير شغفا ولا تجلب لذة ، بحيث يستحيل أن يضى
عليها اهتماما يشق بالترابط بطريقة مستديرة على أى نحو .

ولذلك توجد طرق خاصة خارجية يعرفها كل معلم يثير بها الانتباه
الطوعى من وقت لآخر ويركزه فى موضوع الدرس .

ولقد نشر الأستاذ فيتش Fitch حديثا عن موضوع فن إثارة الانتباه
ولخص طرقه المختلفة لكى نعيد النظر فيها ونراجعها .

فأولا : يجب تغيير الوضع .

أما الأماكن فيمكن تغييرها .

وثانيا : بعد أن يجيب الطلبة عن كل سؤال على حدة فرادى ، فمن اللائق أن يجيبوا عن بعضها جميعا كما لو كانوا في محفل موسيقى .

وثالثا : يمكن طرح أسئلة على اهليجية الشكل ، ويملا الطالب الكلمة المناسبة المطلوبة في المكان الخالي .

رابعا : ينبغي للمعلم أن يقبل على الطفل الغافل ويوقظه وينبهه من غفلته . وعلى المعلم أن يحافظ دائما على عادة التأهب للاستجابة السريعة الفورية من جانب الأطفال بحيث تظل حية نابضة فيهم طوال الوقت .

إن التلخيص ، والايضاح ، والتصوير ، والشرح ، وضرب الأمثلة ، والجدة ، والطرافة ، وكسر الروتين ، كلها وسائل معينة على الاحتفاظ بالانتباه حيا منتعشا وعلى إضفاء بعض الاهتمام أو الشغف على موضوع مل .

خامسا : ولكن فوق ذلك كله ينبغي أن يكون المعلم نفسه يفيض بالحيوية والأهبة ، وأن يكون مثالا يحتذى ومنوالا ينسج عليه الأطفال ، وكتلة من النشاط الدافق الذي يسرى في طلابه .

ولكن فوق ذلك كله ، وبعد ذلك كله ، ومع ذلك كله ، تبقى حقيقة هامة ، وهي أن بعض المعلمين لديهم موهبة خارقة ، اذ يترتب على وجودهم بين طلابهم قدرة طبيعية على الإيحاء تجعل من دروسهم متعة تتفتح لها رغبة الدارسين في حين أن البعض الآخر يفتقر الى هذه الموهبة وتلك القدرة .

وهنا يعترف علم النفس بإخفاقه ، وتلقى التربية بسلاحها ، ثم يسلمان

الأمر كله الى ذلك النبع الفياض العميق للشخصية الانسانية لكي يتولى عنهما المسئولية .

بقيت إشارة موجزة للنظرية الفسيولوجية للعملية الانتباهية لأنها تساعد على توضيح وتجلية هذه الملاحظات العملية وتؤكد لها بأن تبيينها من وجهة نظر مختلفة عنها بعض الشيء .

ما هي العملية الانتباهية من الوجهة السيكلولوجية ؟

إن الانتباه الى شيء هو ما يحدث عندما يشغل هذا الشيء البال أو الذهن كلياً إلى أقصى حد .

ومن أجل التبسيط افرض أن موضوع الانتباه هو شيء خاص بالحس .. شكل أو هيئة تقترب منا على الطريق من بعيد جداً ولا تكاد تتحرك ، لدرجة أننا لا نكاد نتبين : أهو رجل أم لا .. مثل هذا الشيء اذا لم تتمتع فيه ونظرنا اليه باهمال ، فقد لا يلتفت انتباهنا قط . فالانطباع البصرى قد يؤثر فقط في الوعي الهامشى ، في حين تبقى البؤرة العقلية مشغولة بأشياء أخرى تنافس هذا الشيء في مجال الوعي ، وقد لا نرى هذا الشكل البعيد بالفعل حتى يشير مرافق لنا اليه . ولكن كيف يشير اليه ؟ انه يشير اليه باصبعه ويصف مظهره بأن يخلق صورة إنبائية سابقة قوامها أين تنظر ، وماذا تتوقع أن نرى .

هذه الصورة الإنبائية السابقة هي — حتى الآن وبعد ذاتها — مثيرة لنفس مراكز الأعصاب التى يعينها الانطباع .

ثم يأتي الانطباع أو الأثر أو الصورة الذهنية وتثير مراكز الأعصاب أكثر وأكثر ، وعندئذ يدخل الشيء أو الموضوع في بؤرة المجال ؛ اذ ينشط الوعي بالانطباع وبالصورة الإنبائية السابقة معا .

ولكن الحد الأعلى للاتباء اليه لم يصل بعد ، فعلى الرغم من أننا نراه فائنا قد لا نعنى به أو نهتم بأمره وقد لا يوحى إلينا بشيء يهمننا أو بأمر يعيننا في قليل أو كثير . وقد يذهب بنا تيار تفكيرنا في موضوعات أو أشياء أخرى بعيدا عن هذا الموضوع .

يبد أن الأمر يصبح مختلفا إذا ما فسر لنا مرافقنا هذا الموضوع أو الشيء بطريقة هامة ذات دلالة توقظ في عقولنا مجموعة من الخبرات تفهمها من هذا التفسير لهذا الشيء . فمثلا إذا أشار إلى الشيء البعيد وسماه باسم عدو لنا ، أو رسول تتوقع وصوله حاملا أنباء تهمننا ، فالذي يحدث أن الأفكار الهامشية الباقية التي استثيرت الآن — بدلا من أن تصبح منافسة لغيرها ، تصبح شريكة لها وحليفة .

فينطلقان معا في مسار ومدار واحد ويتجهان إلى مركزها ويثبتان هذا المركز في بؤرة الوعي ، وعندئذ ينتبه العقل إلى الموضوع أو الشيء بأقصى ما فيه من قوة .

ويمكننا أن نرمز فسيولوجيا للعملية الاتباهية اذن — في حدها الأقصى أو أوج تركيزها — بخلية من خلايا المخ تدور على الجانبين — من الخارج ومن الداخل — فالتيارات الوافدة من المحيط الخارجى تثيرها والتيارات الجانبية المرافقة الواردة من مراكز الذاكرة والخيال تقوى هذه وتدعمها .

وفي هذه العملية يكون الانطباع الوافد أو الداخل هو العنصر الأكثر جدة ، أما الأفكار التي تدعمه وتقويه وتسانده فهي من ضمن الممتلكات القديمة المربطة في العقل .

وعلى هذا ، يمكننا القول بأن الحد الأقصى للاتباء يوجد كلما وجد تنغم منتظم أو انسجام أو توحيد بين الجديد الوافد والتقديم الراهن .

ومن العجب أنه لا الجديد في ذاته ، ولا القديم في ذاته ، يثير الاهتمام أو الشغف . فالقديم المطلق قد تيسر وأجذب، والجديد المطلق لا يثير الاستجابة مطلقا .

ولكن القديم في الجديد هو الذى يطالب بالانتباه حيث يتلبس القديم بالجديد .

لا يوجد شخص يريد أن يستمع الى محاضرة لا تمت بأى صلة الى معلوماته السابقة ، ولكننا كلنا نحب المحاضرات عن الموضوعات التى نطمح عنها بعض المعرفة تماما ، كما يحدث فى طراز « موزات » الأزياء . فكل سنة تأتى معها بتعديل طفيف لأزياء العام الماضى .

ولكن القفزة الفجائية المنبئة من طراز جيل الى طراز جيل آخر — تصدم العين فتبدو كريمة المنظر .

إن عبقرية المعلم البارع الطلى الشهى تتكون من قدرة على التكهّن . البصير بنوع المادة التى يكون ذهن الطالب مهيا لتلقاها لتلقنها فيختار الموضوعات التى تشغل بال الطالب بالفعل ثم يستكشف — ببراءة — طرق ربط القديم الراهن بالجديد الوافد الذى يطمح على الطالب درسه وفهمه .

إن المبدأ فى منتهى البساطة من ناحية فهمه ، ولكن تحقيقه صعب للغاية .

والالام والمعرفة بهذه القوانين السيكلوجية التى أسردّها على مسامعكم الآن لا يخلقان معلما صالحا بقدرة قادر — أكثر مما تستطيع المعرفة بقوانين مستوى النظر أن تخلق رسام مناظر بمقدرة فنية ومهارة رائدة بارعة .

يد أن الشك قد يساور بعضكم الآن ؛ فلقد ذكرت لكم من قبل —

وأنا بصدد الكلام عن غريزة حب المنازعة — أن التربية الحديثة تربية طرية لينة هينة ، ولعلمكم هنا تجهوننى بنفس كلماتى وترقمونها فى وجهى قائلين : إن اقتصار بذل الجهد من جانب المعلم لحفظ الانتباه التلقائى للطلاب — ومجافاة وتلافى بذل الانتباه الطوعى الارادى حيال الأعمال الكريهة أمر يتصف بالرخاوة والافتعال .

انكم تقولون ان الجزء الأعظم من العمل فى قاعات الدرس ينبغى أن يكون بطبيعة الأشياء — دائما — كريها ورادعا . ومواجهة الصعاب الكريهة وملاقة العناء الذى يتطلب كدا وجدا ، هو جزء كبير من عمل الحياة . فلماذا إذن نعمد الى حذفه من قاعة الدرس والتقليل من شأن القانون الأكثر صرامة ، والهبوط به الى أقل حد ممكن ؟

لا ضير إذن من كلمة أو كلمتين لتوضيح الأمر حتى لا يصبح التباسا خطيرا يؤدى الى سوء فهم هذه المسألة .

من المؤكد أن معظم العمل فى قاعات الدرس يظل منفرا وكريها الى أن يصبح مألوفا ومعتادا وآليا . ولذلك لا يمكن أدائه دون جذب الانتباه الطوعى الارادى اليه بالقوة من آن لآخر .

هذا الأمر لا يمكن تحاشيه ، فليبدل المعلم قصارى جهده ؛ لأن ذلك هو من طبيعة موضوعات التعلم ذاتها ، ومن طبيعة عقل المتعلم نفسه .

يبد أن العمليات الكريهة القائمة على الحفظ والتذكر ، وعلى استكشاف خطوات ذات تشابه حسابى وما شابه ذلك ، ينبغى أن تستمير اهتمامها وشغفها أول الأمر من مصادر خارجية بحتة ، أى من الاهتمامات الشخصية التى يرتبط بها النجاح فى اتقان المادة ويتوقف عليها كالحصول على درجة ، أو تلافى العقاب ، أو عدم الانهزام ، أمام المصاعب ، أو ما شابه ذلك ،

بدون مثل هذا الاهتمام المستعار لا يستطيع الطفل أن يهتم بالمواد المطالب بها أبدا .

يبد أنه في هذه العمليات ما يصبح ممتعا بدرجة كافية بحيث يجذب الانتباه والشغف، ولا يكون كذلك بدون مجهود مبذول من جانب المتعلم . فالمجهود لا بد وأن يستمر ، ولكنه اهتمام مشتق في معظم حالاته وليس انتباها متيقظا سهلا مهما قلنا عليه عندئذ انه تلقائي .

والاهتمام الذى يستطيع المعلم — بأقصى مهارته — أن يضفيه على الموضوع يبرهن مرارا وتكرارا على أنه اهتمام يكفى وحسب لاطلاق الجهد .

لذلك يتعين على المعلم ألا يشغل نفسه أبدا باختراع مناسبات تقتضى استدعاء المجهود على مسرح الأحداث ، فليستمر في إيقاظ وتنبيه وتنشيط واحياء أية مصادر للاهتمام بالموضوع يقدر عليها محركا وداعيا كل الارتباطات القائمة بينه وبين طبيعة الطفل ، سواء أكان ذلك عن طريق حب الاستطلاع الفطرى ، أم المصلحة الشخصية ، أم باعث المنازعة والغلبة .

عندئذ تنجب قوانين العقل نبضات كافية من الجهد تمين الطالب على المضى في اتجاه الموضوع .

ولا توجد في الحقيقة مدرسة للجهد أعظم من الكفاح الثابت للاهتمام بموضوعات تفكير ذات كراهية مباشرة أو صعبة الممارسة قد تطورت ونمت الى الدرجة التى تثير شغفنا بوساطة ارتباطها كوسائل لتحقيق غايات بعيدة نبغى إحرازها .

ينبغي إذن من ناحية المبدأ ألا نلقى اللوم جزافا على القانون الهربارتى

للاهتمام والشفف وتتمه بأنه يبيع التريبة ويدمغها بالرخاوة والطراوة والليونة .

ان قانون هربارت برىء من ذلك براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، واذا أدى الى ذلك بالفعل فالسبب ليس فى القانون ولكن فى الطريقة الغبية التى يطبق بها .

واذن فلا تأمروا الطلاب بالاتباء القهرى بأصوات كعصف الرعد لمجرد أن النظام يتطلب ذلك .

وفى الوقت نفسه لا تسولوا الاتباء أو تستجدوه من طلابكم كما لو كان معروفاً يسدونه اليكم . ولا ترفعوا عليهم دعوى الاتباء على اعتبار أنها حق من حقوقكم يلتزمون هم بأدائه . وأخيرا لا تحاولوا أن تثيروا الاتباء بالمواظظ التى تنادى بأهمية الموضوع أو مادة الدرس .

انكم أحيانا — ما فى ذلك شك — تضطرون الى فعل هذه الأمور ، ولكن كلما زدتم فيها كان معنى ذلك أنكم معلمون تفقدون الى القدرة والبراعة ، وأنكم برهنتم على افلاسكم من مهاراتكم كمعلمين .

استخرج الاتباء من الداخل وابعث فيه حرارة تنتقل منك الى طلابك مستعينا بالقوانين التى وضعتها نصب عينيك . ان اتجاهك نحو الموضوع ، وشمورك نحو المادة وموقفك حيال الدرس ، كلها عوامل فعالة حاسمة فى استخراج الاتباء من داخل طلابك فى جو تسوده الطمأنينة والثقة والأمان من الخوف .

فاذا كان موضوع الدرس قائما على نظريات مجردة فبيتن طبيعته بضرب أمثلة محسوسة ملموسة . واذا لم يكن الدرس مألوفا لديهم ، بل غريبا عنهم ، فابحث نقطة فيه تصل بين المعلوم والمجهول .

وإذا كان الموضوع عديم العنصر الانساني فصغه في قالب يبدو فيه كجزء من قصة .

وإذا كان الموضوع صعبا فاقرن تحصيله بأمل في النفع الشخصي .

ولكن فوق ذلك كله تأكد من أن الموضوع يجرى خلال تغيرات داخلية معينة ؛ لأن الموضوع الخامد الهامد الجامد الذي لا يتغير يعجز عن الاحتفاظ بالمجال العقلي والإمساك به لمدة طويلة .

دع تلميذك يخلق من جانب لآخر من جوانب الموضوع ، ويقبله على وجوهه ، إذا كنت لا ترغب في أن يخلق بعيدا عن الموضوع الى شيء آخر . فالتنوع في الوحدة هو سر كل كلام أو تفكير ممتع مثير للانتباه والاهتمام والشفف .

إن العلاقة بين كل هذه الأشياء وبين العبقرية الفطرية للمعلم — من الواضح بحيث إن التعليق عليها يعتبر من نافلة القول .

هناك نقطة أخيرة أحب أن أختتم بها كلامي عن موضوع الانتباه .

يوجد — بلا جدال — أنواع مختلفة متنوعة فطرية من الأفراد في نمط انتباههم .

فبعضنا — مشئت الذهن طبيعيا .

والبعض الآخر يستلجع بكل سهولة ويسر أن يتابع سلسلة من الأفكار المترابطة دون أن يستشعر أى اغواء لكى ينحرف الى موضوعات أخرى . ويبدو أن هذا يتوقف على الفروق بين الأفراد في أنماط مجالات وعيهم .

فعند بعض الأشخاص يكون مجال الوعي على درجة كبيرة من التركيز — والأفكار البؤرية تسود وتسيطر في تقرير الترابط والتداعى .

وعند البعض الآخر نجد أن الهامش أكثر تألقا ووضوحا ، وأنه متعلق بشيء أشبه ما يكون بدش جوى من الصور ... يخطط فيه خطا عشوائيا ، وينزع الأفكار البؤرية من مكانها حاملا الترابط والتداعى معه الى الوجهة التى هو موليا .

إن الأشخاص الذين من هذا النوع الأخير يجدون اقتباههم شاردا كل دقيقة ، وعليهم أن يعيدوه ثانية بجذب ارادى .

والآخرون يفرقون فى موضوع تأملهم اغراقا عميقا ، وعندما يقطع عليهم شيء حبل هذا التأمل فانهم يشعرون بالضياح لفترة قبل أن يعودوا ثانية الى العالم الخارجى .

إن حيازة مثل هذه القدرة الثابتة على الانتباه هو بلا جدال نعمة كبرى وهبة عظمى .

والذين يتمتعون بها يستطيعون أن يعملوا بسرعة أكبر وبمجهود عصبى أقل .

وأنا أميل الى الظن بأنه لا يوجد فرد محروم منها ويستطيع طبيعيا بأى قدر من التدريب أو النظام أن يحصل عليها بدرجة عالية .

وربما تكون كميتها صفة ثابتة لاصقة بالفرد . بيد أننى أحب أن أذكر ملاحظة هنا — ستعرض مناسبات بعد ذلك لذكرها ثانيا فى مجالات أخرى .

لا داعى لأى فرد أن يندب حظه لافتقاره الى واحدة من المواهب أو القدرات الأولية .

هذا النوع المركز من الانتباه هو قدرة أولية ، وهو أحد الأشياء التى يمكن التحقق منها بقياسها بالتجارب والتمارين فى المختبر .

ولكن اذا تأكدنا من وجوده في عدد من الأشخاص فلن نستطيع أن نضعهم في كلمة معينة من الكفاية العقلية العملية بناء على درجات الانتباه .
ان الكفاية العقلية الكلية لأي فرد هي حاصل تفاعل وعمل كل قدراته ومواهبه مجتمعة .

فالفرد كائن بلغ من التعقيد درجة يصعب معها على أية موهبة مفردة أو قدرة واحدة فيه أن تكون صاحبة الرمية الأخيرة ، وأن تتحكم في مصيره . واذا قدر لها أن تكون كذلك فمن الأرجح أن ذلك راجع الى قوة رغبة الفرد واتصاله الشديد وشهوته ، مضافا الى ذلك قوة الاهتمام أو الشغف بما يقبل على عمله أو أدائه .

إن التركيز والذاكرة وقوة العارضة والقدرة المنطقية والابتكارية وتغوق الحواس — كلها ثانوية بالقياس الى ذلك .

مهما يكن نوع المجالات المتعاقبة للوعى عند الفرد من النمط المشت الذهن الا أنه اذا كان فعلا وحقا مهتما بالموضوع ومشغوبا به فانه سيعود اليه باستمرار من تشته المسننر وسينجح في أدائه آخر الأمر ويحصل على نتائج أكثر من شخص آخر عنده انتباه موصول أثناء فترة معينة، ولكن رغبته وشهوته وشغفه بالموضوع متراخية متوانية وأقل دواما وبقاء .

إن بعضا من أعظم الناس كفاية وقدرة في عملهم ممن أعرفهم — من هذا النوع المشت الذهن فوق العادة .

لقد اعترف صديق لي ممن ينجزون كميات من العمل هائلة تنوء بها العصبة أولو القوة ، بأنه عندما يرغب في الحصول على أفكار لأي موضوع فانه يجلس ليعمل في شيء آخر . أما أحسن النتائج التي يصل اليها فتأتي اليه مرجعها من شروذ عقله وتشتت ذهنه .

وربما يكون ذلك من قبيل المبالغة الظريفة الفكهة من جانبه . ولكنى
أعتقد جديا أنه لا داعى لأن يندب أى واحد منا حظه لقصوره فى هذا
الصدد .

فقد لا ينال عقلنا الا قدرا ضئيلا من الراحة ، وقد يقلق ويشعر بالحيرة
والارتباك ، ولكنه مع ذلك قد يكون عقلا كافيا وافيا .